نورهـان طـارق

لـيــــن القلــــب

اسم الكتاب: لين القلب

تأليف: نورهان طارق

الإخراج الداخلي: القسم الفني بالدار

تدقيق لغوي: دعاء سعيد

تصميم الغلاف: محمد علي

الطبعة الأولى: 2023

رقم الإيداع: 2022/23416

الترقيم الدولي: 0 - 0 - 86391-977-978

دار القاهرة اليوم

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339

ملخص العمـــل

لين القلب رزق يسعى إليه كل من يرجو محبة الله، لذا نسأل الله ألا يجعلنا من القاسية قلوبهم.

بيت الأنس هو بيت الجدة أنيسة، حيث قررت تسميته بهذا الاسم بعد وفاة زوجها ليكون ونيسًا من الوحدة ومكانًا لجمع الشمل بين الإخوة.

ثلاثة أشقاء مترابطون على الرغم من ظروف كل عائلة ومشاكلها الخاصة، والكنات اثنتان منهما على قيد الحياة بينما الثالثة تُوفيت منذ مدة.

الأبناء لكل فرد منهم حياته ومشاكله الخاصة التي يحاولون التغلب عليها، لكن على الرغم من الترابط والحب بينهم إلا أن بعض أفراد العائلة لديهم أسرار خفية تسببت في البعد وعدم الاختلاط غير المعلوم سببه.

ما سر جفاء أكرم مع أهل بيته؟

ما سر انطواء حسَّان ورفضه التعامل مع نائل؟

ما السر الذي تخفيه ولاء عن أهلها؟

ما سر اهتمام جوري بنائل وسبب جفاء حسَّان؟

هذا ما سنعرفه من خلال سير الأحداث.

***

المقـدمــة

إن الله إذا أحب عبدًا رزقه لين القلب.. ما أجمل أن نتحلى بالصفات الحميدة التي أمرنا الله ورسوله بها لكي نصل إلى راحة النفس ومن قبلها رضا الله، فالله يطَّلع على الفؤاد ويعرف خباياه، قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم أو إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم».

لذلك صلاح القلب هو أساس كل عمل صالح يُنير الدرب ويهدي إلى الصراط المستقيم.

■■■

الفصـــل الأول

بدأ يوم جديد مع شروق الشمس على «بيت الأُنس» كما أسمته الجدة «أنيسة» لكي يحظى سكانه بنصيبهم من الاسم ويجدوا الأُنس والأُلفة.

يتكون البيت من أربعة طوابق:

الطابق الأرضي يخص الجدة ويجتمع الأبناء والأحفاد به في نهاية الأسبوع، محاط بحديقة مزروع فيها أنواع مختلفة من الزهور العطرية التي تبعث الراحة في النفس.

الطابق الأول يضم الابن الأكبر «حاتم» وزوجته «چوري» مع أبنائهما «ليان» و«حسَّان».

الطابق الثاني كان يخص الابن الأوسط «محمود»، ولكنه أغلقه بعد أن تُوفيت زوجته «آية» ولم يُرزقا بغير نائل، ويمكث الآن مع والدته في منزلها.

الطابق الثالث يمكث فيه أصغر الأبناء «أكرم» مع زوجته «لمار» وبناتها «ولاء» و«آلاء».

أما السطح فقد أعده الآباء ليجتمع فيه أبناؤهم للعب أو المذاكرة، قام حاتم بتنظيفه بمساعدة أكرم ثم تزيينه بأرضية عشبية يتوسطها ممر خشبي للمرور عليه في نهايته أريكة بنية اللون اختارها «نائل» على شكل حرف (L) يتوسطها منضدة خشبية، وضعت «ليان» على الأريكة وسائد ملونة تعطيها بهجة، وعلى الطرف الآخر أرجوحة خشبية اختارتها «ولاء» و«آلاء»، أما الطرف الآخر فتم استغلاله كساحة للعزف فوُضع البيانو الخاص ب«ليان» والقيثارة الخاصة بـ«آلاء»، و «حسَّان» كان المسئول بمساعدة الجدة عن النباتات المزروعة، كما وُضعت مظلة يمكن فتحها وغلقها بسهولة.

......

في الصباح، أعدت «چوري» الفطور لأهل البيت، ثم أيقظت «حاتم» ليستعد للذهاب إلى عمله.

قال حاتم بعد استيقاظه مبتسمًا:

- صباح الخير، چوري!

لترد چوري بابتسامة تكاد تكون غير ملحوظة:

– صباح النور، عزيزي!

سألها حاتم باهتمام:

– هل أنتِ بخير؟ هل حدث شيء مع الأولاد أم مشكلات تخص عملك؟

جوري بانزعاج بعد تذكرها المشادة الكلامية التي حدثت بالأمس:

– نعم، هناك بعض الصعوبات التي واجهتني في العمل وكنت أحاول إيجاد الحلول لها، لا تشغل بالك بالأمر.

تفهم حاتم قرارها بعدم البوح:

- تمام، إن شاء الله موفقة ثم أردف:

- هل استيقظ الأولاد أم ما زالوا نائمين؟

ترد جوري:

- نعم، ليان استيقظت بحماس لبدء أول أيام العطلة الصيفية، أنت تعرف كم هي متشوقة لتلحق بتدريباتها المكثفة من أجل الحفلة التي ستُقام في النادي قبل بدء العام الدراسي الجديد لتعويض ما فاتها، وطلبت منها إيقاظ أخيها حتى يذهبا سويًّا.

يرد حاتم بضيق:

- جيد؛ لأنه منذ بدء عطلته وإنهاء اختباراته لا يفعل شيئًا سوى الجلوس في غرفته واللعب على الحاسوب، سأقوم بتبديل ثيابي الآن وألحق بكم لنفطر معًا.

....

«ليان» و«حسَّان» أشقاء، طباعهم مختلفة، لكن ذلك لم يمنع حبهما لبعض، «ليان» ذات روح مرحة محبة للحياة تحب العزف على البيانو منذ صغرها؛ لذلك قررت الالتحاق بالمعهد الموسيقي بعد ظهور نتيجتها لمرحلة الثانوية العامة، كما اتفقت مع والديها، أما حسَّان أخوها الصغير فهو على النقيض، هادئ الطباع، أصبح يميل إلى العزلة ويحب الألعاب الإلكترونية التي يُضيع بها كل وقته تقريبًا، أنهى المرحلة الإعدادية ولم يقرر بعد أي طريق يسلكه في المستقبل.

دخلت ليان غرفته لتوقظه:

حسَّان، هيا استيقظ ولا تعذبني معك كما تفعل دائمًا!

حسَّان بتأفف:

– ماذا تريدين مني الآن؟ هيا اتركيني! أريد النوم.

ليان بانزعاج:

- كف عن كسلك واستيقظ لتأتي معي إلى النادي، لا أريد الذهاب بدونك، هيا!

حسَّان بعد أن استيقظ:

– كفي أنتِ عن إزعاجي، لديكِ نائل اذهبي معه.

ليان بحزن:

– نعم لدي نائل، لكن أنت دائمًا وحيد ولا تريدني معك، هذا شيء مزعج حقًّا.

حسَّان بعد أن شعر بحزن أخته:

- حسنًا، لا بأس، سأذهب معكِ اليوم، لكن من فضلك لا تزعجيني مرة أخرى.

ليان بفرح:

– شكرًا، حسَّان، كم يزعجني جلوسك بمفردك طوال الوقت، لذلك أريد منك مشاركتي في بعض أنشطتي لتخرج من قوقعتك وتندمج مع العالم الحقيقي.

حسَّان:

- ليان! أرجوكِ، لقد وافقت على مرافقتكِ لليوم فقط، لذلك لا تبني أحلامًا كثيرة.

التقت الأسرة لتناول الفطور، وبعد انتهائهم سأل حاتم أبناءه عن مخططاتهم لليوم.

ردت ليان على أبيها:

- سنذهب إلى النادي مع أولاد عمي، وسنعود قبل غروب الشمس لنقضي باقي الوقت مع جدتي حتى تعودا.

چوري وهى تحمل حقيبتها مغادرة:

- حسنًا، استمتعا بوقتكما.

هبطت «ليان» و«حسَّان» إلى الطابق السفلي، طرقت الباب ليفتح لها محمود الباب مُرحبًا:

- صباح الخير! كيف حالكما؟

يردان على تحية العم:

- صباح الخير، عمي، بخير الحمد لله.

تتساءل ليان:

– عمي، هل استيقظ نائل أم لا يزال نائمًا؟

ليرد محمود:

- بالطبع لم يستيقظ حتى الآن، هل يستطيع إيقاظه أحد سواكِ؟!

نظر إلى ساعته ليقول:

– لقد تأخرت، عليَّ الذهاب الآن.

ليان:

- حسنًا، عمي، دع الأمر لي، إلى اللقاء!

دلفت ليان لتسلم على جدتها:

- صباح الفل، جدتي، كيف حالك؟

الجدة بسعادة:

- حبيبتي، صباحك هنا، بخير الحمد لله. ثم التفتت لحسَّان مردفة بحنان:

- حبيبي، تعال، لم أرك منذ مدة، لِمَ لا تأتي إليَّ كما كنت تفعل سابقًا، وتساعدني في الاعتناء بالحديقة؟

حسَّان بتأثر:

- جدتي، صباح الخير، أعتذر منكِ على تقصيري، سأعوضكِ عن تلك الفترة.

ثم أردف:

- ما رأيكِ أن تأتي معنا إلى النادي؟

الجدة بامتنان:

- حبيبي، أشعر بالإرهاق اليوم، لذا دعنا نؤجلها ليوم آخر.

ليرد بخيبة أمل:

– حسنًا، جدتي، لا بأس، ارتاحي ولا ترهقي نفسكِ بأعمال المنزل.

«حسَّان» شخص طيب وعطوف على من حوله، لكنه منذ فترة وبعد دخوله فترة المراهقة وهو يشعر بالتمرد على حياته، لذلك أصبح منعزلًا ويقضي وقته في الألعاب الإلكترونية، لكن شخصه القديم يظهر أحيانًا عندما يشعر بالذنب تجاه من يحبهم خاصة لو أظهروا اهتمامهم.

أثناء حديث الجدة و«حسَّان» ذهبت «ليان» لإيقاظ «نائل» كما أخبرت عمها.

دلفت ليان إلى غرفة نائل لتقول بمرح:

- يا الله! لا أعرف ماذا عليَّ أن أفعل معكم أنتم الذكور، لِمَ لا تستيقظون منذ أول مرة؟

ليرد عليها نائل بصوت ما زال به آثار النوم:

- كفي عن الضجة، ألا يمكنني النوم قليلًا بعد تعب الاختبارات القاسية؟

لتجيبه بغيظ:

- لا، لا يمكنك النوم لأننا تأخرنا بالفعل وعلينا التحرك بسرعة.

نائل بعد أن قام من سريره ولف ساعده على رقبتها لخنقها:

- حسنًا، دقائق وأكون جاهز أمامكِ، هيا اخرجي! ليقول بانزعاج في سره:

- يا ربي! اليوم أول أيام العطلة وكنت أريد النوم لوقت متأخر، لكن كيف ذلك وليان تقف فوق رأسي؟

خرجت «ليان» لجدتها وأخبرتها أن «نائل» أخيرًا استيقظ وسيأتي بعد قليل، وأثناء انتظارهم سألتها الجدة:

- هل ولاء وآلاء ذاهبتان معكم؟

لترد ليان بقلق ظهر جليًّا على قسمات وجهها:

– على ما أعتقد، لقد اتفقنا على الذهاب اليوم، لكن لا أعرف لماذا تأخرتا في الهبوط.

لتردف بتساؤل:

– أيمكن أن يكون العم أكرم رفض خروجهم اليوم؟! جدتي ما رأيكِ أن تتصلي أنتِ بعمي وتسألينه؟

لترد عليها الجدة بضيق:

– لا أعرف لماذا يفعل ذلك معهما.

ثم همت بالاتصال.

......

في الطابق الثالث حيث يمكث «أكرم» و«لمار» مع التوأم «ولاء» و«آلاء».

استيقظ «أكرم» ليجد زوجته لا تزال نائمة، ذفر بضيق ثم توجه إلى المرحاض ليتوضأ ويصلي فريضة الصباح، بعد ذلك ارتدى ملابسه ليتوجه إلى العمل.

أثناء ذلك، كانت الفتاتان مستيقظتين لإعداد الفطور لتذهبا إلى النادي.

....

«ولاء» و«آلاء» توأم متطابق، لكن مختلفتان في الطباع والاهتمامات، «آلاء» قوية الطباع لا تحب أن يجبرها أحد على فعل شيء لا تريده، لكنها تنصاع في النهاية لأوامر والدها خوفًا من أن يعاقبها بالحرمان مما تحب ألا وهو العزف على القيثارة، اشتركت في النشاط الموسيقي في المدرسة وتعلمت الأساسيات والآن تتدرب في النادي لأجل الحفلة التي ستُقام قبل بدء العام الدراسي الجديد، لذلك أخبرت «ليان» بالأمس عن الحفلة وطلبت منها الاشتراك في الحفلة حتى تعزفا سويًّا، لا تعتبر «ليان» ابنة عمها فقط، لكنها مَثلها الأعلى، تحبها وتحاول أن تكون مثلها حتى أنها أحبت عزف الموسيقى بسببها، لكنها فضلت العزف على القيثارة لأنها تشبهها أكثر، أما «ولاء» على النقيض لا تحب العزف، لكن تفضل سماع الموسيقى، القراءة، تميل إلى الهدوء والسلام بشكل سلبي قليلًا مما يضايق «آلاء»، لكنهما يكملان بعضًا ولا يمكن لواحدة منهما الاستغناء عن الأخرى، هما أصغر من «حسَّان» بعامين، لكنهما لا تختلطان معه.

خرج «أكرم» من الغرفة فوجد بنتيه في المطبخ تجهزان الفطور وهما مرتديتان ثياب النادي.

أكرم لبنتيه:

- صباح الخير، لِمَ أنتما مستيقظتان باكرًا بينما لمار ما زالت نائمة؟

ولاء:

- صباح الخير، أبي، كنا نقوم بإعداد الفطور لأجلك وبعدها ذاهبتان للنادي.

محمد بانزعاج:

- ما هذا ال.........؟

وقبل أن يكمل حديثه وجد والدته تطلبه على هاتفه، يستدير على عقبيه ويخرج من المطبخ ليجيب والدته: - نعم، أمي، صباح الخير، كيف حالك؟

لترد والدته مطمئنة:

- أنا بخير، أكرم، أريدك أن تسمح لبنتيك بالذهاب إلى النادي، لا يصح ما تفعله معهما، لا يمكنك معاقبتهما كل يوم على أتفه الأسباب وحرمان آلاء من تدريباتها، ألا تعرف كم هذا الأمر مهم لها؟ الأمر إذا

زاد عن حده انقلب إلى ضده يا حبيبي الغالي.

تأثر أكرم بدلال والدته السابق:

- حسنًا يا أمي، سأسمح لهما اليوم بالذهاب، لكن لا أحب أن يتدخل أحد في طريقة تربيتي لبنتيَّ، أنا أبوهم وأدرى بما فيه الصالح لهم.

لتجيب بيأس:

- لا فائدة، الله يهديك ويصلح حالك.

أكرم بغضب لبناته:

- اذهبا اليوم ولنا كلام آخر عند عودتي لأني تأخرت.

على الرغم من ذلك التهديد المبطن إلا أنهما قررا أن يتجاهلا الأمر لتقول آلاء بحنق:

- هل نعيش بداخل سجن ممنوع علينا الخروج منه، ما المشكلة في ذهابنا إلى النادي مع أبناء أعمامنا أو حتى ذهابنا بمفردنا؟ كل يوم نفس الشجار لأجل ماذا؟ لا أعرف فيما يفكر وما الشيء الذي يظن أننا سنفعله إذا ابتعدنا عن ناظره قليلًا!

لتجيب ولاء بهدوء:

- أبي لا يقصد مضايقتنا ولكنه خائف علينا.

ترمقها آلاء بضيق:

- لِمَ تدافعين عنه في كل مرة؟ ألا تشعرين مثلي بالحنق من حصاره لنا أم أنني وحدي المتضررة؟

ولاء بضيق:

- بالطبع لست سعيدة بما يحدث، لكن لا يوجد لدي شيء لأفعله سوى الدعاء والصبر، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

آلاء:

- حسنًا، أرجو من الله أن يفرجها علينا.

لتردف بجدية:

- هيا بنا، سنتأخر عليهم، لكن قبلًا لنكتب ملاحظة لأمي أننا خرجنا كي لا تقلق.

هبطتا إلى منزل الجدة لتسلما عليها وعبرتا عن امتنانهما لمساعدتها، ثم ذهبوا إلى النادي.

■■■

الفصـــل الثاني

دلفوا جميعًا إلى النادي بتباين واضح في المشاعر ما بين مسرور، متحمس، ممتعض ومهموم، تبادر ليان بالقول:

- انظروا إلى المناظر الطبيعية التي تبعث الراحة والسرور في النفس، مضى وقت طويل على آخر زيارة، لقد افتقدتها حقًّا.

لتوافقها «ولاء» على ذلك بينما يتأفف منها «حسَّان» و«نائل» اللذان أتيا مرغمين.

لتردف ليان:

- هيا بنا لنسير قليلًا في الممشى، ثم بعد ذلك يذهب كل منا إلى المكان الذي يريده.

وأثناء السير التفتت ليان إلى نائل مبادرة بالسؤال:

- نائل! ماذا هناك؟ لِمَ أنت حزين هكذا؟ انتهت الامتحانات وما حدث قد حدث، هيا القِ هذا الحزن واستمتع بالحياة.

نائل بحزن:

- نعم، انتهت الامتحانات، ولكني أخشى من ردة فعل والدي على النتيجة، لقد بذلت جهدًا كبيرًا من أجل الامتحانات، لكن مع ذلك أشعر بالقلق.

ليان بتشجيع:

- ما دمت قد فعلت ما في وسعك لا تقلق، الله سوف يرزقك بالخير، لكن عليك أن تكون واثقًا من ذلك واستمر في الدعاء، فالدعاء يغير القضاء ويرفع البلاء.

نائل وقد شعر ببعض الراحة:

- حسنًا، وسأحاول ألا أفكر في أي شيء الآن.

ليان بابتسامة:

- حسنًا، سأتركك الآن للجري مع الفتاتين وأريد منك أن تتحدث مع حسَّان قليلًا لتقليص الفجوة بينكما، لا أحب أن تظلا هكذا.

نائل بجدية:

- سأحاول معه مرة أخرى.

ليكمل في سره: عسى ألا يصد محاولتي مرة أخرى.

رجعت ليان خطوتين تاركة «نائل» يتقدمها ليصل إلى «حسَّان» حتى أصبحت في نفس حارة المشي الخاصة بالفتاتين لتبادر آلاء بالسؤال:

- هل حان موعد تدريباتك؟

ليان:

- لا، ليس بعد، سأبدأ اليوم بعد الظهيرة، لكني فضلت القدوم باكرًا حتى نتمشى قليلًا ونتحدث سويًّا تعويضًا عن الفترة السابقة، كما أنه الوقت الأمثل للاستفادة من أشعة الشمس المفيدة للجسم.

ولاء بموافقة:

- نعم معكِ حق، لقد قرأت أنه من الساعة الثامنة إلى الساعة الحادية عشر هو أفضل وقت للحصول على ڤيتامين (د)، سيكون رائعًا إن جعلناها عادة يومية لأنه بجانب حصولنا على الڤيتامين، السير يحسن من أداء الدورة الدموية ويقي من أمراض عديدة.

لتقول ليان بحماس:

- اقتراح رائع أحتاجه بشدة لأن الفترة الماضية كنت مضغوطة بسبب الامتحانات والمذاكرة، شكرًا على المعلومات القيمة.

آلاء بضيق:

- هذا الأمر متوقف على موافقة أبي ولا أظن أنه سيوافق على ذهابنا إلى النادي يوميًّا، يكفي أنه موافق على ذهابي للتدريبات من أجل الحفلة. لتردف بسخرية:

- حتى هذا الأمر مرهون بموافقته في كل مرة.

لتوقفها ولاء بحزم عن إكمال حديثها:

- آلاء توقفي، لو كان أبي ضد الأمر منذ البداية لما وافق أن تلتحقي بتدريبات الحفلة.

لم ترد آلاء على أختها بينما ردت ليان بتفهم:

- لا بأس، ليس من الضروري أن نذهب إلى النادي كل يوم لو أن هذا الأمر يضايق عمي أكرم، لكن يمكننا المشي في محيط البيت في الأيام التي لن نستطيع فعلها في النادي.

ولاء بسعادة وقد أعجبتها الفكرة كثيرًا:

- هذا الاقتراح جميل، لا أظن أن هناك مشكلة في ذلك، لكن انتظري حتى نعرض الأمر عليه أولًا.

واستمرا على هذا المنوال طوال الفترة الصباحية يتحدثن في العديد من الأمور، «ليان» حاولت أن تخرجهما من حالة الإحباط ومساعدتهما على تقبل الحياة بوجهيها والفتاتان أمضيتا معها وقتًا ممتعًا واستمتعتا كثيرًا في الحديث معها بسبب روحها المرحة التي تطغى دائمًا حتى حان موعد ذهاب كل من «آلاء» و«ليان» إلى تدريب الموسيقى الذي كان ممتعًا للغاية، خاصةً أن آلاء تتحول شخصيتها وتهدأ بمجرد أن تبدأ بالعزف، بينما ولاء أحضرت معها كتابًا لتمضي معه وقتها.

«النفس تميل نحو ما يشعرها بالراحة ولا يوجد أفضل من الموسيقى لأنها غذاء الروح، تجعل الإنسان أكثر صفاء وتركيزًا وتقوم بتهذيب سلوكه، أما القراءة غِذاء العقل فتجعل النفس تطفو وتسبح في عوالم مختلفة».

عند «نائل» و«حسَّان» فالأمور لم تسر بشكل جيد، حاول «نائل» إخراج «حسَّان» من صمته دون جدوى، كان يتجاذب معه الحديث، لكن الأخير وضع سماعة الأذن وأخبره أنه اكتفى من السير وسيذهب لمكان آخر.

شعر «نائل» بالضيق وخلع قناع المرح عنه، لا يعرف لِمَ يتعامل معه بهذا البرود، لقد فرح كثيرًا عند ولادة «حسَّان» ظنًّا منه أنه قد حصل

على أخ صغير، وبالفعل كانوا إخوة يقضون وقتهم في اللعب معًا، لكنه فجأة أصبح لا يطيق اللعب معه، يتجنبه ولا يتجاوب معه سواء في الحديث أو اللعب، قرر الذهاب إلى المكتبة ليقرأ هناك ريثما يحين موعد العودة، أثناء سيره كان يسبح مع ذكرياته ليتخيل حياته مع والدته وهي على قيد الحياة وأنها أنجبت له إخوة، كيف ستكون معاملتهم وكيف ستختلف حياته وأبوه، بسبب حسه الفكاهي ومرحه الدائم ظنت عائلته أنه تجاوز وفاة والدته لوجود «چوري» معه، لكنه يفتقدها كثيرًا ويفتقد وجوده في منزله.

في نهاية اليوم وأثناء عودتهم إلى البيت التفتت ولاء لليان لتقول:

- ليان، تعرفين أنكِ تشبهين البيانو كثيرًا !

ليان بمفاجأة: حقًّا! كيف هذا؟

لتكمل ولاء:

- لقد أتت تسمية البيانو اختصارًا لكلمة (بيانوفورت) وهو مصطلح إيطالي يعني الرقة واللين.

ليان بسعادة:

- هذا رائع، يبدو أن حبي للبيانو قدر، لو تعرفون مقدار سعادتي

لأني أخيرًا أقنعت والديَّ بأن تكون دراستي الجامعية في الموسيقى، على الرغم من ذلك لم تشغلني فكرة البحث عن سبب التسمية أبدًا.

ولاء بجدية:

– ليس الجميع لديه شغف البحث والقراءة، لكل منا شيء يبرع فيه ويجعله متميزًا عن الآخر، فأنتِ وآلاء لديكما شغف اللعب على الآلات الموسيقية، بينما أنا شغفي القراءة والبحث والمعرفة.

تصمت برهة ثم تكمل حديثها:

- تذكرت الآن معلومة قرأتها أيضًا عن البيانو، كل مفتاح له أداء وإن نفس المفتاح يولد نغمة مختلفة حسب قوة الضغط عليه.

تجيبها ليان:

– نعم، هذا صحيح، حيث يمكن للبيانو الحفاظ على نغماته بطريقة قادرة على خلق أنماط موسيقية مختلفة.

ترد ولاء:

– كما أن الموسيقى بشكل عام تساعدنا على الاسترخاء وإزالة شحنات التوتر وتخفيف الآلم؛ لأنها تزيد من إفراز هرمون الأندروفين وتعالج حالات الاكتئاب.

ليان بتفكير عميق:

- كلامك يذكرني بفترة الاكتئاب التي مر بها نائل بعد وفاة والدته، كنت أصطحبه معي لدروس البيانو ولاحظت أنه يكون أفضل حالًا بعدها.

آلاء بمزاح:

- أخيرًا وجدت فائدة من الكتب التي لا تتركينها من يدكِ، الآن اطمأن قلبي عليكِ.

ليضحك الجميع على ما قالته.

في منزل الجدة، اجتمع الإخوة معًا كعادتهم في نهاية الأسبوع مساءً ليناقشوا العديد من الأمور، بينما «چوري» و«لمار» كانتا في المطبخ تحضران المشروبات التي سيتناولها الجميع.

لتبادر لمار بالحديث:

- لم أعد أستطيع التحمل، هذه الحياة ليست ما توقعتها أبدًا، لا أعرف لماذا يحدث معي ذلك؟ لماذا يتعامل أكرم معي بهذه الطريقة؟

لتردف ببكاء:

- لقد سئمت هذا الوضع ولم يعد لدي قدرة على الاحتمال.

لتقول چوري وهي تهدئها - اهدأي حبيبتي واصبري، لا تسألي لماذا يحدث معي هذا ولا يحدث مع غيري، إنها أقدار الله، لو اطلعتم على الغيب لوجدتم ما فعل ربكم إلا خيرًا، أنتِ لا تعرفين شيئًا عن حياة الآخرين لتقولي لماذا يحدث لي وحدي كل هذا، قد يظهر البعض حياتهم على أنها مثالية ويتظاهرون بالسعادة أمام الناس، لكن هل تعرفين ماذا يحدث خلف الأبواب المغلقة؟ كثير من الأزواج تميل إلى العنف وعدم احترام الأنثى، انظري إليهم وبعد ذلك احمدي الله على أنه رزقكِ بزوج لا يهينكِ، وأن لديكِ ابنتين غيرك غير قادر على إنجاب مثلهما.

لترد لمار بقهر لم تستطع إخفاءه:

- لكنه لا يحبني، لا يوجد بيننا أي حوار، طوال فترة مكوثه معنا في البيت لا يفارق الهاتف ولا يهتم سوى بعمله، حتى البنتين لا يعرف عنهما شيئًا ولا يهتم بهما.

لتنظر إليها وتكمل:

- في بداية حياتنا كان مختلفًا، لا أعرف ماذا حدث له.

أثناء الحوار الدائر بينهما دخلت «ولاء» لتحضر عصيرًا لها وللبنات

لتنظر «چوري» لـ«لمـار» حتى تنتبه لدخول ابنتها وتتوقف عن الحديث، لكن الأخيرة أكملت حديثها ولم تهتم.

بعد خروج ولاء التفتت «چوري» لـ«لمـار» ترمقها بشذر وتقول:

- ألـم أنبهكِ على دخول ابنتكِ حتى تتوقفي عن الحديث أمامها؟!

لتقول لمـار بلا مبالاة:

- لا تقلقي، هي تعرف كل شيء، عندما أكون غاضبة من قهري أحكي معها كي لا أنفجر.

لترد جوري وهى مذهولة مما تقول:

- كيف تحكين لابنتكِ عن مساوئ والدها؟! هل تعرفين ما هو شعورها الآن وهى تستمع لهذا الحديث وفيما تفكر، هل جربتِ أن تسمعي لها وتعرفي شعورها تجاه عائلتها أو مشكلاتها بدلًا من إخبارها عن مشكلاتكِ أنتِ مع أبيها؟!

تنظر لمـار ببعض الضيق لها وهي تجيب:

- لا، لم أسمع منها لأنها كتومة، وحتى لو لم أحكِ لها أي شيء هي وأختها تعرفان كل شيء لأنهما تريان كيف يتعامل أبوهما معهما ومعي، وفي كثير من الأحيان تسألني آلاء لِمَ يفعل معهما ذلك!

لترد چوري:

- الفتاتان في سن حرج ورؤية تصرفاته شيء والحديث عنها بشكل جارح وخصوصًا من أمهما عن أبيهما أثناء نوبات غضبكِ شيء آخر، ضعي نفسكِ مكانهما وبعد ذلك قيمي الوضع لتعرفي مقدار خطأكِ.

قالت آخر كلمة وهى ترمقها بحزن، ثم غادرت المطبخ لتجلس مع الفتيات وتجتذب الحديث معهن لتظل «لمار» على وقفتها تفكر في كلام «لمار» بجدية بعد أن أغفلت بأنانيتها عن مقدار السوء الذي تتعرض له الفتاتان جراء حديثها السيئ عن والدهما بجانب معاملته الجافة لهما، هي لم تتعمد مطلقًا أن تتحدث مع الفتاتين عن والدهما بقصد تشويه صورته في أعينهما، لكنها تشعر بالصدمة جراء ما اكتشفت عن شخصيته التي لم تكن تعرف عنها شيئًا سوى بعد الزواج.

زواجها بـ«أكرم» كان زواجًا تقليديًّا، وليس كأختها «چوري»، لقد اختارها لأنها أخت زوجة «حاتم» ويعرف أصل عائلتها جيدًا، وهي وافقت عليه ظنًّا منها أن شخصيته مشابهة لـ«حاتم» بما أنهما إخوة ونشآ معًا، لذلك وافقت عليه، ولأن فترة الخطبة كانت قصيرة و«أكرم» كتوم بطبعه ظنت أن الأمور ستتغير بعد الزواج، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي

السفن، اكتشفت أنه شخص جاف المشاعر وصارم، يريد أن تسير الحياة كما يشاء بدون نقاش.

على الصعيد الآخر، كانت المناقشة محتدمة بين الإخوة بسبب تعنت «أكرم» ومعاملته غير الصحيحة لأهل بيته، فمن منظوره يعتقد أن ما يفعله هو الصواب والأفضل، لكنه أغفل وسط ذلك أن خير الأمور الوسط وأن تضييق الخناق وإلغاء رأي أهل بيته لن يجدي نفعًا، وأنه من الأفضل ترك بعض المساحة لهم حتى لو أخطأوا ليتعلموا منها ويتمكنوا من السير بشكل صحيح في المجتمع بدلًا من نشأتهم خانعين ليصيروا إمعة ليس لهم رأي، النجاح ليس عدم فعل الأخطاء، لكن عدم تكرارها، طالما أن نشأتهم سليمة وزُرع فيهم الأخلاق والقيم ستكون عونًا لهم وقت الشدة.

يقول حاتم بضيق:

- ما المشكلة في ذهاب الفتاتين للنادي بدونك؟ لقد انتهت الامتحانات وطوال فترة الدراسة الفتاتان لا تفعلان شيئًا سوى المذاكرة، بالتأكيد نفسيتهم بحاجة إلى الترفيه، لماذا تفتعل المشكلات عند ذهابهم كل مرة وتتسبب في تفويت دروس القيثارة على آلاء عندما تكون مشغولًا؟

يجيبه أكرم:

- إذا أرادتا الذهاب لتنتظرا عودتي من العمل ونذهب معًا أو أوصلهم في طريقي للعمل صباحًا، لكن ذهابهما بدوني غير مقبول، لقد وافقت فقط هذه المرة لأجل خاطر أمي، غير ذلك لا أقبل بأسلوب لي الذراع، هما ابنتاي وأنا أدرى منكم بمصلحتهما.

ليرد عليه محمود:

- نائل كان معهما، لم تذهبا بمفردهما، هو رجل يُعتمد عليه وهم كإخوته لم يتركهما وحدهما وكانتا في حمايته.

ثم استطرد بضيق:

- أم أنك متضايق منه بشكل شخصي ولا تريده بالقرب من ابنتيك؟

ليرد أكرم ببعض الحرج:

- أنا لم أقصد ذلك، أعرف أنه يتعامل معهما كإخوته، ولكني لا أقبل ذلك، ليس لشخصه ولكنه مبدأ عام لا أحب اختلاط الفتاتين بشاب حتى لو كان ابن عمهما. يوجه باقي حديثه لحاتم:

- لو لم يكن نائل أخا ليان بالرضاعة ما كنت لتسمح له بالمكوث كثيرًا مع ابنتك.

«نائل» وُلد في نفس العام الذي وُلدت فيه ليان وبسبب ضعف صحة والدته «آية» لم تتمكن من إرضاعه، لذلك قامت «چوري» بذلك وهكذا أصبحت ليان أخت «نائل» و«حسَّان»، لكن الأخير ليس على وفاق مع «نائل» ولم يعد يختلط به.

رد عليه حاتم:

- أنت مخطئ، ما كان ليتغير أي شيء، ففي النهاية هو ابن عمها قبل أن يكون أخاها.

التفت إلى محمود وقال:

- لا أقصد أي شيء سيئ فيما سأقول، ولكن عليه أن يعي جيدًا الوضع، أنا أثق في ابنتي وفي تربيتها وأعرف أنها ستتصرف بشكل صحيح في أي موقف تواجهه.

ساد الصمت لبعض الوقت ثم سأله حاتم بمباغتة بعد تفكير عميق:

- هل تتعامل مع ابنتيك وزوجتك بهذا الأسلوب بناءً على ما حدث معك سابقًا؟

ارتبك أكرم لما قاله حاتم وإحساسه أنه مكشوف:

- نعم، أنا لم أنسَ مطلقًا ما حدث في الماضي وما تسببت فيه.

ليطرق رأسه وهو يقول:

- لم أكن أعرف أن كل ذلك سيحدث.

ليجيبه محمود بتهكم:

- وهل تعتقد أنك بذلك تحميهن من الوقوع في الخطأ؟! من يريد فعل شيء يفعله وخصوصًا أننا في عصر التكنولوجيا وكل شيء مباح.

ليردف بجدية:

- لكن الشيء الوحيد الرادع لكل ذلك هو التربية الصحيحة ونشأتهم على الثقة، أن تعطيها لهم قبل أن تطالِب بها، أن تزرع فيهن القيم، المبادئ، الأخلاق، وأن يضعن الله نصب أعينهن وبذلك يفكرن في كل خطوة قبل اتخاذها، هل تتوافق مع كل ما سبق أم لا وعلى هذا الأساس سيتخذن القرار.

استأذن «أكرم» منهم للصعود إلى بيته ليفكر قليلًا بكل ما سمع ليعيد حساباته، بينما أسقط محمود قناع الجدية عن وجهه مجرد أن خطا داخل منزله ليغلفه الحنين والشوق لروح صعدت إلى بارئها وتركته وحيدًا في منتصف الطريق.

***

الفصــل الثالث

مضت الأيام بشكل اعتيادي على الجميع، «حاتم» و«چوري» قلقان بشأن انطواء «حسَّان» واقتراب نتيجة «ليان»، «أكرم» و«لمار» كل منهما يفكر بجدية بشأن النصائح التي وُجهت إليهما من إخوتهما ليصلحا ما أفسدا في حياة ابنتيهما دون قصد، أما البنات فكن يسيرن معًا بجوار البيت في صباح الأيام الخالية من دروس الموسيقى، حيث أن «أكرم» سمح لهما على مضض بالذهاب مع «ليان» كخطوة أولية نحو التغيير لتصحيح الخطأ، وذلك بعد أن أخذ عدة أيام عطلة من العمل خلال الشهر ليرافقهما ويعرف ما تفعله الفتاتان منذ بداية دخولهما إلى النادي وكيف تقضيان وقتهما ومع من تتعاملان وكيف تتصرفان، اكتشف خلال هذا الشهر أنه فوت الكثير على نفسه وابنتيه عندما أهملهما ولم يهتم بهواياتهما والتواجد معهما في أحلى لحظات حياتهما.

لا بأس على الآباء أن يدركوا خطأهم بشأن أولادهم ويعتذروا عنه معترفين أمامهم بخطأهم، هكذا سينشأ الطفل على مبدأ الاعتذار عن

الخطأ طالما أخطأ بدون تعنت، كما أن تهميش رأي الأولاد لأنهم صغار لا يعرفون شيئًا في الحياة يجعلهم خانعين لا رأي لهم، على العكس يجب سماع رأيهم واحترامه لأن فخر الآباء يبدأ من إحساس أولادهم بالفخر والزهو كما حدث في قصة الأسد الذي نما لابنه الصغير بعض الأسنان وبدأ في عض والده، فتأوه الوالد ليشعر صغيره أنه قوي.

طرق حاتم باب غرفة «حسَّان» المفتوح حيث أنه قرر التحدث معه لمعرفه ما مشكلته، لكن الأخير كان مندمجًا في لعبته ولم يسمعه، لذلك ناداه بصوت عالٍ نسبيًّا:

- حسَّاااان!

يستدير له وهو متفاجئ من صوت والده العالي ليقول له:

- نعم، أبي!

ليجيبه حاتم وهو ممتعض:

- طرقت باب غرفتك ولم ترد علي، لذلك ناديتك بصوت عالٍ لتنتبه إلي.

ليرد عليه حسَّان بخفوت:

- آسف، لم أنتبه.

ليقول حاتم بهدوء:

- حسنًا، لا بأس، أريد أن أتحدث معك قليلًا وبعدها نلعب سويًّا!

يقول باندهاش لأنها المرة الأولى التي يبادره والده للعب معه:

- خيرًا، أبي!

ليقول بابتسامة:

- انتظرتك كثيرًا لتأتي وتتحدث معي كما عهدتك ولكنك لم تفعل، فبادرت بالقدوم إليك.

صمت برهة ثم استطرد حديثه بسؤال:

- لماذا تمكث معظم وقتك أمام الألعاب الإلكترونية ولم تشارك في أي نشاط طوال العطلة التي قاربت على الانتهاء؟ أيضًا لم تطلب مني إذنًا لزيارة أصدقائك كعادتك.

ثم تذكر الحديث الذي دار بينه وبين إخوته ليقرر أن يتخذ هو الآخر خطوة إيجابية نحو ولده الذي أهمله كثيرًا الفترة الماضية:

- لم أتحدث معك من قبل واحترمت قرارك بعدم اللجوء إلي،

لكن عزلتك الزائدة عن الحد لم تدع لي مجالًا للسكوت، ألم يحين الوقت لتخبرني بما يحدث معك؟

ليخرج حسَّان تنهيدة طويلة تعبر عما يجيش داخل صدره ولا يعرفه أحد:

- لم يعد لدي أصدقاء في المدرسة، الفتيان تغيروا كثيرًا لا يهمهم سوى مصاحبة الفتيات والتنمر على الزملاء ليظهروا أمام الجميع أنهم الأفضل، ومن ظننتهم أصدقاء فوجئت بأنهم أصحاب مصالح، لذلك ابتعدت عنهم لأني تعبت منهم ولا أحب تلك النفوس المريضة، أتعامل مع الجميع بشكل جيد كزملاء ثم ابتعدت عن الجميع، اكتشفت أن هذا أفضل للجميع لأنك إذا لم تكن معهم فأنت ضدهم، وهذا ضد مبادئي التي تربيت عليها لذا اهتممت بمذاكرتي وتحصيل أعلى الدرجات ليتم قبولي في المدرسة الثانوية.

يناظره والده بتفهم لما أخبره به لتوه:

- لِمَ تحمل نفسك فوق طاقتها ولم تتحدث معي من قبل عن مشكلتك، ما يحدث مع زملائك شيء طبيعي أن يمروا به في هذه المرحلة العمرية، بالتأكيد أنت تعرف مرحلة المراهقة وما يعقبها من تغيرات فسيولوجية والتي بشأنها تؤثر على نفسية المراهق، أحسنت

صنعًا عندما رفضت أن تتماشى مع السلوك الخاطئ، لكن لا تدع هذا الأمر يؤثر عليك سلبًا، انظر إلى الجانب الإيجابي، لقد أوشكت الدراسة على البدء وستدخل المرحلة الثانوية وهي مرحلة مهمة وفارقة، مختلفة عن سابقتها، والمدرسة الجديدة ستجد فيها أنواعًا مختلفة من الشخصيات يمكنك وقتها اختيار من يشبهك أو يتماشى مع قيمك وأخلاقك، لكن لا تنسَ أن بعض المظاهر خادعة، دعني أخبرك سرًّا.

أخذ يلتفت حوله بشكل مضحك ثم قال:

- أنت تشبهني كثيرًا لأني لم أحظَ بالكثير من الأصدقاء في صغري، لكن الوضع اختلف عند دخولي المرحلة الثانوية، كانت مرحلة مختلفة، مرحلة انتقالية في حياتي، حظيت بأوقات مرحة مع أصدقائي عرفت فيها الكثير والذي أثقل خبرتي وساعد في تكويني لأكون ما عليه الآن، لذلك لا تحزن، أمامك فرصة للتغيير، لكن عليك بالصبر وبذل الجهد لتكوين صداقات، فمن السهل تكوين علاقات لكن من الصعب الحفاظ عليها، أيضًا لا بأس من تقديم المساعدة لمن يحتاج حتى لو لم يربطك به علاقة شخصية أو لا يوجد وجه استفادة لك، افعله لوجه الله لتأخذ الثواب كاملًا فالله يسخر بعض الأشخاص لقضاء حوائج الناس.

- معك حق، أبي، سأبذل أقصى جهدي في الدروس وسأحرص على تكوين صداقات جديدة حقيقية هذه المرة، كل ما في الأمر أني كنت محبطًا وشعرت بأن الجميع تخلى عني.

- لا بأس، أحيانًا علينا أن نسقط لنتعلم النهوض من جديد ونصير أقوى.

تذكر حاتم شيئًا أخبرته به ليان وقرر أن يسأله لحسَّان:

- بمناسبة الصداقات الجديدة، أخبرني عن نائل، سمعت أنك تعامله ببرود وترفض تقربه منك، ظننت أن ابتعادك عن الحديث معي سببه أنك وجدت في نائل الأذن الصاغية لتقارب أعماركما.

عند ذكر اسم نائل اشتدت نظرته وقال:

- لا أريد أن أتحدث معه في شيء يخصني، ألا يكفي أنه استولى على أمي وأختي؟

ثم استدرك حالته ليردف بحزن:

- لولا حديثك معي الآن ما تفوهت بأي شيء، لكنني بالفعل متعب من كل هذا وأريد أن أغير كل شيء في حياتي لأني تعبت من الوحدة وأريد حياة حقيقية.

يسود الصمت لبعض الوقت وأثناء ذلك كل ما كان يجول في خاطر «حاتم» أنه مقصر في حق ابنه لتركه حتى صار بهذا البؤس:

- ما رأيك أن تخبرني بكل ما يضايقك وأعدك أن تصير الأمور على خير ما يرام بعدها.

ظل «حسَّان» ينظر لوالده يتبين صدق قوله وهل حديثه معه سيؤدي بالفعل لحل مشكلاته أم سيزيدها تعقيدًا ليقرر بعدها أن يخبره بكل شيء حتى يشعر بالارتياح، حكى له مشكلته مع «نائل» والذي يُعد عنصرًا مهمًّا في مشكلته، حنقه الدائم على والدته لإهمالها إياه الذي أدى إلى عزلته عن عائلته وإحساسه بالغضب منهم.

أدرك حاتم أبعاد المشكلة وأنها تعدت مشاعر غيرة من فتى يشاركه عائلته:

- ما رأيك في حديقة جدتك؟

نظر له حسَّان بعدم استيعاب لسؤاله:

- خلابة، تجذب الأنظار إليها، لكن ما علاقتها بحديثنا؟!

تجاهل سؤاله وأكمل ما قرر فعله:

- أجدت وصفها، إنها بالفعل خلابة، أعتقد أنها ما كانت لتصل

لهذا الوصف لولا اعتناء جدتك المستمر بها!

- بالتأكيد.

- وفقًا لمرافقتك المستمرة لجدتك، هل تروي الأزهار كلها في نفس اليوم؟

- لا، بعض الأزهار لا تحتاج للماء كل يوم كما أخبرتني جدتي، لا بد من مراقبة التربة أولًا لمعرفة مدى احتياجها للماء.

- ممتاز، إذًا لو قررت جدتك كل يوم وضع الماء لكل الأزهار بالتساوي دون مراعاة احتياج النبات، هل هذا قرار صائب؟

- بالتأكيد لا، سيتضرر النبات ولن يؤتي بثماره لأنه كما قالت جدتي الأمر إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.

- رائع، ما رأيك أن تطبق هذا المثال على مشكلتك مع نائل؟

ساد الصمت لبعض الوقت ليقول حاتم بهدوء في محاولة منه لتفنيد الحقائق التي غابت عن بال حسَّان نظرًا لصغر سنه:

– نائل ابن عمك كما تعرف فقد أمه في سن صغير، وقبل وفاتها كانت مريضة مما أثر عليه بشكل كبير، وچوري كما تعرف من أرضعته، كانت تهتم به أغلب الأوقات لعدم استطاعة والدته فعل ذلك، وبعد

وفاتها زاد اهتمامها وحنانها عليه الذي افتقده بعد رحيل آية، هذا بجانب حبها الخاص له لأنه كما تقول ولدها البكري. ليستدرك كلامه حتى لا يُفهم كلامه بشكل خاطئ:

- لا أقصد بالطبع أنها لا تحبك، هي تُحبك كثيرًا وأنت تعرف ذلك في قرارة نفسك، لكنها عاطفية وتغدق عاطفتها على الجميع، لذلك لا تشعر تجاهه بالسوء، أما أختك وقربها منه لأنهما في نفس المرحلة العمرية والدراسية وذلك ساهم بشكل كبير في تقاربهما، لكنها لم تقصر معك، منذ ولدت وهى تحبك وترعاك وتسألك دائمًا مشاركة نائل اللعب، لكنك تقابل طلبها بالرفض.

ليطرق حسَّان رأسه ويقول:

- لا أعرف ماذا أقول، أشعر أني أواجه شعورين متضادين ولا أعرف كيف أتصرف.

ليقول حاتم:

- لا بأس عليك، يمكنك الانفراد بنفسك لتفكر بجدية في المستجدات وبعدها اتخذ قرارك ويمكنك أخذ مشورتي في أي وقت إذا شعرت بالتيه بما يؤرقك أو يزعجك، لا تترك مشاعرك السلبية تتحكم فيك، نحن نحبك ونهتم بك.

ليقول حسَّان بسعادة:

- شكرًا، أبي على وقوفك بجانبي، هيا بنا لنبدأ اللعب.

يتنهد حاتم براحة من حديثه مع ولده ويدعو الله في سره أن يصلح حاله هو وإخوته ثم يندمج معه في اللعبة.

في شقة «أكرم» كانت «لمـار» واقفة في المطبخ لتحضير الغذاء حين جاءتها فكرة لتقترب بها من الفتاتين وتحاول تصليح ما أفسدته، لذلك اتصلت بـ«أكرم» لتسأله الموافقة على خروجهن لبعض الوقت، أظهر ضيقه في البداية لكنه وافق أن تصحبهما لمدة ساعتين ليذهبن إلى المجمع التجاري القريب منهم.

نادت «لمـار» على البنتين بصوت عالٍ بعد أن أغلقت الهاتف:

- آلاء، ولاء، تعالا أريد أن أتحدث معكما.

اقتربتا من والدتهم لتسألها آلاء:

-ماذا هناك، أمي؟

تحدثت لمـار ببعض الحماس:

- ما رأيكما في الذهاب إلى المجمع التجاري لقضاء بعض الوقت

معًا؟ أوشكت العطلة على الانتهاء، لم نذهب إلى أي مكان سويًّا.

نظرت الفتاتان لبعضهما بتعجب لما قالته والدتهما، ثم قالت ولاء:

- كيف ذلك، هل وافق أبي على ذهابنا أم سننتظره ليأتي معنا؟!

قالت لمار بإقرار:

- لقد وافق والدكما على ذهابنا بدونه، لذلك لا نريد أن نهدر الوقت المتاح لنا في الثرثرة، هيا بدلا ثيابكما بسرعة.

طلبت لمار سيارة أجرة لتقلهم إلى وجهتهم بينما ترتدي الفتاتان ثيابهما، صرخت في الفتاتين لتسرعا عندما أظهر الهاتف لها قرب السائق من منزلهم.

-يا بنات! أسرعا هيا، أمامنا عشر دقائق ليأتي السائق.

ركبن السيارة في الموعد المحدد بالفعل وذهبن إلى وجهتهن.

بعد وصولهن للمجمع التجاري أبدت «آلاء» دهشتها من قرار والدتها وموافقة أبيها، ردت عليها «لمار» أثناء سيرهن لتفقد المتاجر:

- أردت التحدث معكما في بعض الأشياء، فقلت لا بأس إن ذهبنا إلى مكان ما للتبضع وتناول المثلجات التي تحبانها، أما والدكما فلم يتعنت كثيرًا عندما أخبرته بما أريد.

بعد أن انتهت «لمار» من حديثها لفت انتباها فستان في غاية الروعة فسألت البنتين أن تدخلا معها لتلقيا نظرة عليه، وافقتا وبالفعل دخلتا وأمضوا معظم وقتهما في قياس الثياب وإبداء رأيهما في ما وجدتا مناسبًا لهما، ثم ذهبن بما أعجبهن ليقمن بشرائه، بعد ذلك توجهن إلى متجر المثلجات وطلبت كل واحدة منهن نكهتها المفضلة ثم جلسن على الطاولة لتتمكن «لمار» من الحديث معهما.

قالت ولاء بينما تتناول المثلجات:

- المثلجات لذيذة جدًّا، شكرًا لكِ على هذا اليوم، استمتعت كثيرًا.

لتكمل في سرها:

- كنت بحاجة للتغيير بالفعل على الرغم من تعبي.

وافقتها «آلاء» وشكرت أمها، ثم صمتتا لتدعا المجال لوالدتهما لتتحدث فيما أرادت، ظلت صامتة ترتب أفكارها وكيف تبدأ معهما في ما أرادت قوله، لذا قررت أن تتحدث بشكل مباشر كأفضل وسيلة.

- أنا لم أقصد التحدث عن أكرم بشكل سيئ أمامكما، لكنه دائمًا ما يشعرني بالغضب لما يفعله ولا أجد منفذًا سوى التحدث عن ذلك لعلي أخرج كل طاقة الغضب التي أشعر بها.

ولاء بتفهم ليس غريب عليها لكنه غريب على سنها:

- لا بأس يا أمي، أنا أعرف ما تشعرين به، لذلك لم أصدر أحكامًا على ما تفعلين وأعرف أنكِ تفعلينه دون تعمد منكِ، ودائمًا ما أخبر آلاء بذلك، لكن هذا لا ينفي شعوري بالضيق والأسى لأنه يخص أبي مهما بلغت أخطاؤه.

آلاء تعارض أختها:

- سواء تحدثتِ عما يفعله أم لا، كل شيء يحدث أمامنا، لذلك لا توجد أسرار ونحن نرى كيف يتعامل مع الجميع، لذلك أنتِ محقة بكل كلمة قلتيها، أمي.

نظرت «ولاء» شذرًا ل«آلاء» على ما قالته ولم تعقب، لكن «آلاء» فهمت نظرات أختها وشعرت بالضيق لترد عليهما لمـار:

- أعتذر عما حدث، حتى لو كان كلامكما صحيحًا لم يكن علي أن أغتابه أو أتحدث بالسوء عنه مهما بلغت أخطاؤه.

لترد ولاء في محاولة لتهوين الأمر على والدتها بينما هي بحاجة لمن يسكن آلامها:

- لا عليكِ، أمي، لننظر إلى الجانب المشرق في الموضوع، أبي وافق

على ذهابنا إلى المجمع التجاري بمفردنا وقبلها أن نسير الهوينا مع ليان في الأيام الخالية من التدريبات الموسيقية، ولم يعد يتعنت في ذهابنا إلى النادي كما كان يفعل في السابق، لذا أعتقد أنه بالفعل كان يفعل ذلك بهدف حمايتنا وليس تضييق الخناق علينا لأنه لا يحبنا.

لتهتف لمار بدفاع:

- من قال أن والدكما يكرهكما؟!

نظرت الى آلاء وأكملت:

- هو يشعر بالواجب نحوكما ويريد حمايتكما من أي مكروه قد يلحق الضرر بكما، أعتقد أنه أخطأ الوسيلة لكن لا بأس طالما حاول إصلاحها، التغيير المتأخر خير من التمادي في الخطأ.

لم تعد «ولاء» تتحمل الألم أكثر من ذلك ولم تجلب معها المسكن، لذلك هتفت بألم:

- هيا بنا، أرجوكما أريد العودة!

«لمار» لاحظت وجه «ولاء» المتألم فسألتها عما يحدث معها، لكن قبل أن ترد عليها وجدتها تسقط على الأرض بدون حركة، شعرتا بالفزع لما حدث وطلبتا المساعدة لنقلها إلى المستشفى.

في طريهما إلى المستشفى سمعت «لمار» هاتفها يرن، لكنه صمت بمجرد أن أخرجته من الحقيبة، وجدت من أكرم العديد من المكالمات الفائتة، هاتفته لتخبره بما حدث كي يلحقها.

أكرم بانفعال:

- لماذا لا تردين على هاتفك؟ اتصلت أكثر من مرة عليكِ وعلى هاتفي البنتين ولم يجبني أحد، هذه آخر مرة أسمح فيها بذهابك لأي مكان، هل وصلتن المنزل؟

لترد لمار عليه ببكاء لم تستطع أن تخفيه:

- نحن ذاهبتان إلى المستشفى، لقد سقطت ولاء على الأرض أثناء مغادرتنا المجمع وطلبت المساعدة في نقلها.

أكرم بفزع:

- أي مستشفى، وماذا حدث لها، كيف لا تتصلين بي لتخبريني بهذا الأمر؟

أخبرته لمار بصراخ:

- البنت سقطت مني وفزعت عليها، لم أفكر بأي شيء سوى الاطمئنان عليها ومعرفة ماذا حل بها.

صمتت تتمالك نفسها ثم أخبرته باسم المستشفى وأغلقت الهاتف دون انتظار رده.

وصلوا المستشفى القريبة منهم ودخلت «ولاء» إلى الطوارئ ليفحصوها ويعرفوا سبب الإغماء ليكتشفوا أن الزائدة الدودية ملتهبة للغاية وعلى وشك الانفجار، لذلك لا بد من تدخل جراحي سريع وإذن بالموافقة من ولي الأمر.

مكثت «ولاء» بعض الوقت في غرفة لتُجهز للعملية حتى أتمت «لمار» كافة الأوراق المطلوبة منها، ثم دخلت لغرفة العمليات، وصل «أكرم» قبل دخولها بدقائق سمحت له برؤية ابنته قبل دخول العملية، نظر لها بأسف ولم يقل شيئًا.

ظلت «لمار» و«آلاء» على وقفتهما أمام الباب بلا حراك تبكيان بصمت ولم تنتبها لملامح «أكرم» المتأثرة، كان يشعر بالتقصير الشديد تجاه ابنته لأنه لم ينطق بكلمة واحدة ليبثها الأمان، وجهها المتألم وهى تتشبث بيده خائفة لا يفارق خياله، كان يريد أن يطمئنها لكنه لم يستطع النطق بكلمة، الآن فقط شعر بالندم لعدم سماعه كلام أمه وإخوته باكرًا، لو أنه اهتم بهما وكان أبًا حنونًا وتقرب منهما بحب لما ظلت توأمه بعيدة عنه تبكيها في حضن أمها دون أن توجه له نظرة واحدة.

عندما سمع «حاتم» و«محمود» بما حدث لـ«ولاء» أتوا على وجه السرعة ليقفوا مع أخيهم في محنته ولحبهم لـ«ولاء» ورغبتهم في الاطمئنان عليها، لاحظ «حاتم» تباعد «لمار» و«آلاء» عن «أكرم»، فحدثه بشأنهم:

- أكرم، لماذا أنت واقف هكذا بعيدًا عن ابنتك وزوجتك، ألم تر كيف حضنتني آلاء أنا ومحمود عند وصولنا؟ إنهما بحاجة إلى وجودك بجانبهما.

رد عليه أكرم بقلق:

- أخشى أن تصدا مبادرتي، منذ أن أتيت لم توجها أي كلمة لي وتقفان على مسافة مني.

قال حاتم بتفهم:

- لا تقلق من هذا، نظرًا لتاريخك الطويل في التعامل الجاف معهما لن تحدث مبادرة منهما، لكن لو فعلت فلن يصدوك.

بالفعل توجه إليهما «أكرم»، لاحظ «محمود» اقتراب «أكرم» منه، فابتعد عن «آلاء» ليفسح المجال له، عندما علم محمود بما حدث لولاء قرر الوقوف بجانب آلاء ليطمئنها لأنه يعرف شعور الفقد جيدًا وصعوبة الابتلاء في أعز الناس إليك.

عندما لاحظت «آلاء» وقوف أبيها جانبها وما إن فتح يديه لها حتى ارتمت بحضنه تتشبث به، تشعر بالغضب من نفسها لأنها شعرت بوجع أختها وسألتها، لكن إنكار «ولاء» جعلها تظن أنها بالفعل بخير، هذا ما قالته لوالدها ما إن ابتعدت عنه:

- أنا قصرت في حق ولاء، سألتها عندما شعرت بشيء خاطئ، لكنها أنكرت، كان علي إخباركما عندما لاحظت أنها تتناول المسكنات، لو أني اهتممت، لو أني .....

يقاطعها أكرم بحنان لم يظهره سابقًا:

- لست وحدكِ من قصر في حقها، كلنا فعلنا، لكنها تجيد إخفاء مشاعرها وألمها، قدر الله وما شاء فعل، المهم أن تخرج لنا سالمة.

وفعل نفس الشيء مع «لمار»، احتواها وأظهر اهتمامه بها ولم يفارقهما حتى خرجت «ولاء» من غرفة العمليات بعد نجاح العملية، فحمدوا الله وسجد «أكرم» شكرًا لله لخروجها بخير ودعا ربه أن يحفظ له ابنتيه وأن يساعده في تعويضهما.

طلب منهم الطبيب أن ينتظروا فترة ريثما يذهب مفعول المخدر وتستيقظ «ولاء».

ذهب كل من حاتم ومحمود إلى البيت بعد إصرار أكرم واطمئنانهم على نجاح العملية، بمجرد أن وصلا إلى البيت توجه محمود إلى الطابق الثاني، دخل إلى منزله يتلمس آثار حبيبته يشتاق إليها حد الوجع، رفض دخول أي شخص إلى منزله بعد وفاة آية، ويقوم على نظافة المكان بنفسه حتى يبقى آدميًّا كما لو كانت على قيد الحياة، وكلما اشتاق إلى طيفها صعد لجناحهما كي يسترجع ذكرياتهما معًا.

استيقظت «ولاء» حين انتهى مفعول المخدر فوجدت «أكرم»، «لمار» و«آلاء» حول سريرها واقفين ينظرونها بفرح أنها أخيرًا أفاقت، لكن عندما حاولت الاعتدال شعرت بألم شديد فاستدعوا الطبيب ليطمئنهم عليها وأخبرهم أن هذا الألم طبيعي وعليها المكوث في المستشفى لبضعة أيام، وأخبرهم ببعض التعليمات التي لا بد من اتباعها لتكمل شفاءها على خير.

بعد خروج الطبيب اقتربت والدتها واحتضنتها برفق، تبكي بفرح أنها أصبحت بخير قائلة:

– حمدًا لله على سلامتكِ، لا أراني الله مكروهًا فيكِ مرة أخرى.

أفسحت المجال لابنتها «آلاء» التي اقتربت منها لتسلم على أختها:

- شفاكِ الله وعافاكِ.

ثم أكملت لها بضيق لم تستطع إخفاءه:

- عندما تتعافين وتصبحين بخير لنا حديث آخر.

ظل «أكرم» واقفًا بجانب السرير يتبادل النظرات مع ابنته بدون أن ينطق بكلمة، لم يتحمل نظرة العتاب الموجهة نحوه، لذا اقترب منها وأخذها في حضنه برفق قائلًا:

- لا حرمني الله منكِ، أصبحتِ بخير الآن؟!

ردت ولاء بعد أن ابتعدت عن والدها:

- الحمد لله.

ليقول لها أكرم:

- عماكِ كانا هنا أثناء جراحتكِ، الجميع كان قلقًا عليكِ، وعندما اطمأنوا على نجاح العملية طلبت منهم العودة إلى البيت، قالا أنهما قادمان مرة أخرى عندما تفيقين.

ولاء وهى تغمض عينيها من التعب:

- هذا لطف كبير من الجميع.

طلبت الممرضة منهم أن يخرجوا من الغرفة لأن المريضة بحاجة إلى الراحة وسيبقى فرد واحد من عائلتها كمرافق لها، فقالت «لمار» على

الفور أنها ستبقى معها حتى تساعدها إن احتاجت إلى شيء، وبذلك ذهب «أكرم» مع «آلاء» إلى البيت وفور وصولها طمأن الجميع أنها أفاقت وأن «لمـار» مرافقة لها، وعند فتح مواعيد الزيارة سيذهبون لها.

■■■

الفصــل الرابع

مضت فترة بقاء «ولاء» في المستشفى بسلام، عائلتها قرروا تقسيم أنفسهم في الزيارات حتى لا يسببوا لها أي تعب، لم تستطع وصف إحساسها خلال تلك الفترة لاهتمام وعناية الجميع بها، «حاتم» و«چوري» أحضرا معهما باقة ورد جميلة أعجبتها كثيرًا، و«ليان» أخبرتها أنها قرأت عن الزائدة الدودية وجمعت معلومات حتى تساعدها في اجتياز مرحلة الألم، وذكرتها بالمعلومة التي قالتها لها سابقًا عن الاستماع إلى الموسيقى وعلاقتها بتخفيف الألم، كما تحاول أن تشتت تفكيرها بأي شيء سوى التفكير في الألم، و«حسَّان» أخبرها أنه يتمنى لها الشفاء العاجل، أما عمها «محمود» فأعطاها دبدوبًا كبيرًا و«نائل» أحضر لها بعض الكتب لتقرأها وبالونات هليوم، وظلوا يتحدثون معها في شتى الأمور عن دراستها وما تقرأه ليرفعوا روحها المعنوية، وجدتها «أنيسة» أخبرتها بأنها ظلت تقرأ القرآن وتصلي وتدعو الله أن يشفيها وتصبح بخير، أما أسرتها فشعرت بكثير من التغيرات من جهة والدها التي

أسعدتها وأربكتها في ذات الوقت، حيث أنه في اليوم التالي من إفاقتها فوجئت به على باب غرفتها من الصباح الباكر ومعه باقة من الشيكولاتة المفضلة لديها ومجموعة كتب لكاتبتها المفضلة التي أرادت شراءها ولم تستطع، وأحضرت أختها بعض الأغراض الخاصة لها لتساعدها وأمها في تبديل ثيابها، كان لعائلتها وما فعلوا معها طوال فترة مكوثها داخل المستشفى أثر بالغ في شعورها بالتحسن والامتنان لكل فرد منهم على وقوفهم بجانبها.

بعد عودتها إلى المنزل التزمت بتعليمات الطبيب والأدوية التي وصفها لها لتتم شفاءها، كانت تغادر غرفتها نادرًا لأن الجرح لا يزال يؤلمها فتقضي الوقت في القراءة، ظلت أختها بجانبها وأصبحت تتمرن في غرفتها لأنها توقفت عن الذهاب إلى النادي حتى ترعاها مما سبب الضيق ل«ولاء» لأنها لا تريدها أن تهمل تدريباتها، لكن «آلاء» كانت حازمة معها لأنها لم تنسَ ما ادعته «ولاء» أنها بخير ولم تخبرها بوجعها، لذلك لم تستطع «ولاء» النطق بكلمة لكنها طلبت منها الذهاب آخر الأسبوع لاقتراب موعد الحفلة.

لم يكن الحال بين «أكرم» و«لمار» على ما يُرام بعد ما حدث بينهم، لذلك قرر «أكرم» أن يبادر بالحديث معها ليصفي كل الأمور العالقة بينهما.

ذهب أكرم بعد أن بدل ثياب العمل إلى المطبخ فوجد «لمـار» هناك تطهو طعام العشاء، فنادى عليها:

- لمـار! أريدك في أمر هام، تعالي معي.

ذهبت «لمـار» خلفه تحاول إخفاء ما يعتريها من قلق، لم يحدث بينهما أي حوار بعد ما حدث في المستشفى، لاحظت تغير طريقته مع البنتين، لكنها لم تستطع تفسير ما يحدث، لذلك قررت تجنبه، لكنها فوجئت بما قاله الآن ولا تعرف ماذا يريد بالظبط، لذا قالت ببرود:

- نعم، هل حدث شيء؟

أكرم يدور في الغرفة بتوتر لأنه قرر مصارحة لمـار بالعديد من الأمور التي لا يعرف مدى تأثيرها عليها:

- أريد منكِ أن تستمعي لما سأقوله بدون مقاطعة.

صمت لبرهة ثم قال:

- لم أعد أتحمل هذه الحياة وأريد تغييرها.

صُعقت لمـار عندما سمعت حديث «أكرم» وقالت في نفسها أنه قرر الانفصال مما أحزنها لأنها تفاءلت خيرًا بتغيره وظنت أن الحياة ستكون أفضل، لكنها لم تستطع البوح بما تفكر به.

- سأحكي لكِ حكايتي وما مررت به لأصبح ما أنا عليه الآن.

لا يزال يدور داخل الغرفة بدون توقف:

– لأني أصغر إخوتي دللتني أمي كثيرًا وتركتني أفعل ما يحلو لي، ولأن والدي تقدم بالعمر ولم يكن في استطاعته تربية ولد من جديد فترك أموري على إخوتي واقتصر دوره في القسوة علي وإبداء امتعاضه الدائم كلما تقدم العمر بي، على الرغم من تفوقي الدراسي لاعتناء إخوتي واهتمامهم الجيد بي لكن هذا لم يُرضِ والدي ومهما فعلت لا أجد سوى قسوته، كنت أتساءل دائمًا عن سبب قسوته ولم أحصل على إجابة شافية، أخبرني حاتم أنه كان شديدًا معهما أيضًا ظنًّا منه أنها الطريقة المثلى لتربية الرجال، ومع ذلك كنت ألاحظ أن قسوته علي مختلفة، وكلما زاد حنان أمي ازدادت قسوته حتى تُوفي وأنا على أعتاب الجامعة، شعرت وقتها أني قد تحررت أخيرًا من سطوته وسأفعل ما أريد.

شعرت «لمار» بالشفقة تجاهه وأرادت مواساته، لكنها قررت عدم مقاطعته كما أخبرها.

ابتلع ريقه جراء جفاف حلقه مما قال، ثم أكمل باقي الحقائق:

– حياتي الجامعية كانت مختلفة عن سابقيها، فقد تزوج إخوتي

وصار لديهم حياتهم وأبناؤهم لذا لم يعد الاهتمام بي كالسابق مما ساعد في ازدياد بذرة التمرد بداخلي، أهملت دروسي وصرت مدخنًا للسجائر، كنت أعيش حياتي وأفعل ما يحلو لي بدون أن يعكر أي شيء صفوي، لكني مع ذلك لم أشعر بالسعادة كما كنت أظن، دائمًا ما كنت أفتقد لشيء كبير في حياتي لا أعرف ما هو، أمي صارت حزينة ووحيدة بعد والدي وهذا الحزن بداخلها لم يخرجها منه سوى أحفادها.

ليردف بمرارة:

- أهملتني هي الأخرى ولذلك قررت الانتقام، تلاعبت بمشاعر الفتيات، كنت أكذب عليهن وأوهمهن بحبي لهن لأحصل على الاهتمام منهن، لكن ذلك لم يكن السلوى أبدًا لأني اكتشفت مدى سوء تصرفي وقبح فعلتي لأني لم أهتم بشيء سوى نفسي ومحاولة تعويض حب أمي واهتمامها من خلال ادعاء الحب لأحصل على الاهتمام، فكرهت نفسي وكفرت بالحب وشعرت أنه كان السبب الرئيسي لكل ما مررت به وأن قسوة القلب هي المنجية، وبذلك قررت أن أتزوج بدون حب أو مشاعر فتاة موثوق في أخلاقها على خلاف الفتيات اللاتي صاحبتها تكون على دين وخلق، لا تسمح لأي شخص بالتلاعب بها.

كانت «لمار» تنظره بدهشة ثم أمسكت برأسها من هول ما سمعت

وأخذت تتساءل عن هوية الشخص الذي تزوجته.

نظر لها أكرم ولاحظ حالتها، شعر بالأسف عليها:

- وفاة آية زوجة محمود كانت نقطة التحول في حياتي، شعرت بالحزن الشديد لاختفاء ملاكي الحارس، كانت الجانب الأبيض مني الذي حاولت دفنه بعد كل ما مررت به ومهما عاملتها بفظاظة كانت تهتم بي وتعاملني برفق، على الرغم من ضعف حالتها الصحية إلا أنها كانت تنظر إلى الدنيا بتفاؤل كان يغيظني منها، أعتقد أنها سمعت من محمود عما حدث معي، لذا شعرت تجاهي بالواجب أو أرادت أن تخرجني من الظلمة التي وقعت فيها دون إرادتي فكانت تحثني على الرجوع إلى الله وعدم القنوط وأن رحمة الله واسعة، كانت مبتسمة على الدوام لا أظن أني رأيتها يومًا ناقمة من شيء أو حتى ساخطة على أحد، الله يرحمها كانت السبب في ابتعادي عما أفعله، لكن وفاتها هزتني من الداخل، شعرت بالفزع لاقتراب الموت مني بأخذه أقرب شخص لي، فاقتربت من طريق الحق كما كانت تخبرني دائمًا، وقتها عرض علي حاتم أن أتزوج وأكون أسرة تعينني على نفسي.

أخيرًا قررت لمار قطع حديثه وسؤاله والدموع تتساقط من عينيها:

- لماذا أنا؟ لماذا قررت إدخالي في دوامتك وكل عقدك؟ ما ذنبي

أنا في كل ما حدث معك! لقد خدعتني، عندما تقدمت لي لم تخبرني بأي شيء وكنت شخصًا مغايرًا لما وجدته بعد الزواج أو بمعنى أصح بعد مرور شهور الحمل، وازدياد تعبي وإرهاقي، كنت تشمئز من غثياني وتصرخ من تقلب مزاجي حتى الوحم لم تكلف نفسك عناء إحضار ما أشتهي وكنت أطلبه من چوري، تركتني أعاني آلام الوضع وحدي.

ظلت تبكي لتذكرها معاناتها مرة أخرى، ثم قالت:

- هل كنت تتلاعب بي أنا أيضًا ولذلك قررت الزواج سريعًا خوفًا من رفضي لك لو اكتشفت ما فعلت، هل كانت تعرف أختي بكل ذلك ولم تحذرني؟!

جثا على ركبته أمامها وأمسك وجهها ناظرًا في عينيها قائلًا:

- أبدًا، لم أتلاعب بكِ، منذ أن عرفتكِ وأنا أكن لكِ احترامًا لما وجدته فيكِ وما سمعته عنكِ من چوري، ما كنت لأفعل ذلك بفرد من عائلتي ولم يكن حاتم ليسمح بذلك أبدًا، تعاملي معكِ في فترة تعارفنا كان حقيقيًّا وقتها كنت تغيرت بالفعل، لكن ما حدث قبل وضعكِ كان انتكاسة ألمت بي ولم أستطع تجاوزها وحدي، لم يوقفني عنها سوى كلام إخوتي بعد ملاحظتهم لمعاملتي معكما وما حدث مع ولاء عندما شعرت باحتمال فقداني لها، صدقيني، أنا لم أقصد إيذاءكِ أبدًا، أنا آسف!

حقًّا أنا في غاية الأسف، وچوري لم تكن تعرف أي شيء عن الماضي.

قرر أن يوفيها حقها الذي أنكره منذ سنوات طويلة:

- كنتِ نعم الزوجة لي طوال سنوات زواجنا مهما حاولت إنكار ذلك، حفظتِ بيتي وأنشأتِ ابنتيَّ جيدًا، تركتِ وظيفتكِ وأصدقاءكِ لأجلي.

لمار بصوت جاهدت أن يخرج بوضوح:

- وأنت لم تراعِ ذلك، عزلتني عن العالم وأخبرتني بأنك سوف تعوضني، لكن ماذا حدث؟ لا شيء، بل ازددت سوءًا معي ومع ابنتيك، ثم لماذا لم تتحدث معي عندما انتكست حالتك، لماذا لم تلجأ إلي وقتها؟

صمتت لوهلة ثم قالت:

- أتعرف شيئًا؟ أنت أناني، عندما انشغلت بالفتاتين عنك قررت أن تنتقم منا، تجاهلتنا وفعلت كما فعل والدك معك، قررت أن تقسو علينا وكلما ازداد اهتمامي بالفتاتين ازددت قسوتك عليهما، لكن ما لم تعرفه أن مسؤولية تربية والاهتمام بتوأم في وقت واحد أمر في غاية الصعوبة، سألتك كثيرًا أن تساعدني، لو فعلت وقتها كانت حياتنا اختلفت.

صُعق «أكرم» مما قالته «لمار»، لم يتخيل في أقصى أحلامه أن يصبح قاسيًا كوالده، أو أن تعاني ابنتاه بسبب أنانيته كما عانى من قبل من والده.

أكرم بأسف:

- يبدو أنكِ على حق وأني تصرفت بدون قصد كوالدي، لكن الآن أريد حقًّا أن أبدأ من جديد معكن وأصلح خطأي.

لمار متأثرة بكل ما يحدث:

- لقد عانيت بسببك لوقت طويل بدون اهتمام أو تقدير، والآن تريد أن تغير الوضع الحالي لأنه ليس على هواك، ماذا عني؟! العالم لا يدور من حولك فقط، هناك بشر لهم احتياجات قد تتعارض مع خطتك.

أكرم بعدم فهم:

- ماذا تعنين بكلامك هذا؟! أخبريني بما تريدين وأنا على استعداد تعويضكِ عما فات قدر استطاعتي، هذا حقكِ.

استغربته لمار كثيرًا وقالت:

- إن استطعت محو شقائي خلال الأعوام السابقة وتعويضي عنها، يمكنني وقتها نسيان ما حدث.

ثم غادرت الغرفة تاركة وراءها أكرم غارقًا في التفكير.

ذهب أكرم لتفقد «ولاء» بعد وقت قصير من انتهاء محادثته مع «لمار»، طرق الباب ثم دخل يبادرها بالسؤال:

- كيف حالكِ الآن؟

أثناء حديثه انتبه لوجود آلاء، اقترب منها وسألها:

- كيف تبلين في دروس القيثارة؟

ردت آلاء:

- الحمد لله، لقد تقرر موعد الحفل، سيكون آخر الأسبوع القادم.

أكرم باستغراب:

- إذًا لماذا لا تذهبين للتدريب في النادي؟!

تجيب ولاء نيابة عنها:

- لأنها قررت المكوث معي حتى تعتني بي، لكني أخبرتها بضرورة الذهاب إلى النادي لتلحق بالتدريبات النهائية حتى لا تذهب كل مجهوداتها سُدى ويتم استبعادها.

أكرم بفخر:

- هذا عظيم، أحببت مساندتكما لبعض، أنا فخور بكما!

لم يستطع أكرم قول أو فعل شيء آخر، فقرر مغادرة الغرفة بعد أن ابتسم لهما.

......

وفي غرفة «حسَّان» كان هناك ما يشغل باله ويجعله يدور في فلك لا يجد له آخر، بعد محادثة «حاتم» بشأن «نائل» وبعد كل ما مروا به خلال الأيام الماضية كان عليه أن يتخذ قرارًا إما مسامحته أو استمراره في النقمة عليه، والقراران كان أحلاهما مر، لذا قرر أن يذهب إلى جدته ليجلس معها قليلًا كما وعدها.

طرق باب منزلها ليُفاجأ بـ«نائل» واقفًا أمامه مُرحبًا:

- أهلًا بك، حسَّان، كيف حالك؟ لم نتقابل منذ آخر مرة، هل قدمت في المدرسة الثانوية الخاصة بي؟ أوشك العام الدراسي الجديد أن يبدأ.

ثم أضاف بغمزة من عينه:

- ويمكنني أن أوصي عليك بعض المعلمين هناك كنت أعرفهم!

على الرغم من مرح نائل مع حسَّان إلا أنه كان مجرد قناع ليخفي خلفه حزنه واشتياقه لأمه، منذ ذهابه لزيارة ولاء بعد مرضها في المستشفى وذاكرته لا تنفك عن تذكيره بكل الأوقات التي مكثتها والدته داخل جدران المستشفى حتى فارقت الحياة، كانت ذكريات مريرة.

ظل حسَّان صامتًا وسط ترحيب وأسئلة نائل ثم قال:

- مرحبًا، نائل، كيف حالك أنت؟ لم أكن أعرف أني سوف أجدك الآن في البيت، ظننت أنك في النادي بصحبة ليان!

شعر بإحباطه يتزايد لتجاهله ما قاله:

- شعرت بالتعب قليلًا لذلك قررت عدم الذهاب اليوم.

- حسنًا، سأدخل لجدتي، أراك لاحقًا.

قالها حسَّان بينما يتوجه إلى غرفة جدته، طرق باب غرفتها ودخل عند موافقتها ليقول بمرح:

- مرحبًا، ها قد أتيت كما وعدتكِ جدتي، هل يمكننا السير معًا في الحديقة؟

قالت الجدة:

- مرحبًا، عزيزي، كنت في انتظارك منذ فترة، هيا بنا إلى الحديقة.

ثم أكملت بغضب مصطنع:

- تأخرت كثيرًا يا ولد، لقد أوشكت عطلتك على الانتهاء!

- أعتذر، جدتي، لكني كنت أمر بفترة صعبة، أشعر بالتيه ولا أعرف ماذا أفعل!

- إذًا أخبرني لعلك تجد حل معضلتك.

صمت «حسَّان» يفكر في الأمر ولا يعرف ماذا يقول حتى جاءته فكرة وقرر تنفيذها.

– كان هناك معلمة في المدرسة تهتم بي وتسألني باستمرار إذا كنت بحاجة إلى مساعدة وما إلى ذلك، وبعد فترة والدة صديقي توفيت، بدأت تهملني وتهتم بصاحبي هذا، فشعرت بالغضب لأنه أخذ مكاني عندها، لذلك لم أعد أتحدث معه وعلى الرغم من ذلك يعاملني بشكل جيد، هذا يسبب لي الضيق ولا أعرف ماذا أفعل معه على الرغم من إدراكي لأبعاد هذا الأمر إلا أني لا أستطيع نسيان ما كان.

أدركت الجدة بعد انتهاء «حسَّان» من حديثه أن المشكلة لا تخص صديقه أو معلمته إنما يتحدث عن نائل وچوري:

- حسنًا، هل يهمك أمر هذا الفتى للحد الذي يجعله شاغل بالك

كل هذا الوقت؟ وهل أخطأ هذا الفتى في حقك أو سعى للحصول على اهتمام المعلمة؟!

فكر «حسَّان» قليلًا في مدى أهمية «نائل» عنده، يعترف أنه كان صديق طفولته وكانا ليظلوا أصدقاء لولا ما حدث:

- نعم، جدتي، هذا الفتى يهمني أمره، ولم يسع لسرقة اهتمام المعلمة، هي فعلت لتعوضه عن حنان والدته، لكن أنا لم أستطع مسامحتهما، هل هذه أنانية مني؟

- بالطبع لا، المرء لا يكون أنانيًّا إن طالب بحقه في أحبته، لكن الأنانية تكمن في تصرفاتك تجاه هؤلاء الأشخاص وطريقة التعامل معهم، طالب بحقك بأدب دون الإساءة لأحد.

تكمل الجدة بعتاب:

- أنت تصرفت مع الفتى بشكل أناني، لم تهتم له ولا بمصابه وقررت التخلي عنه في وقت شدته، وعلى الرغم من خذلانك له إلا أنه قابل ذلك بمحبة وحاول إرجاع الود بينكما وهو لم يخطئ في حقك ولم يفكر في الإساءة إليك.

كلام جدته أثر فيه، على الرغم من حديثه مع والده إلا أن جدته

تناولت الأمر بشكل مختلف وضحت فيه مدى أنانية تصرفه لتكمل الجدة حين لاحظت صمته:

- عزيزي، لا تلم نفسك على ما مضى وتعلم الغفران ليس من أجل الآخرين فقط، لكن من أجل نفسك أولًا، ما حدث قد حدث وانتهى الأمر، فكر في المستقبل وتدارك أخطاءك.

حرك رأسه بموافقة ثم استأذن ليصعد إلى غرفته، كادت رأسه أن تنفجر من هول ما سمع، لقد ظل طوال الأعوام الماضية يظن أنه ضحية إهمال والدته بسبب «نائل»، ثم يصبح الجاني لأنه تخلى عنه وقت حاجته، لكنه كان طفلًا صغيرًا وقتها لذلك لم يعتب والده على تصرفه، لكنه الآن أصبح يعي الأمور جيدًا وكما قالت جدته ستكون أنانية منه إذا استمر على نفس موقفه بعدما أدرك أبعاد الأمور جيدًا.

على الجانب الآخر، كانت «چوري» تتحدث على الهاتف مع نائل لتطمئن عليه عندما عرفت من ليان أنه لم يذهب كعادته إلى النادي، لينفجر فجأة فيها معلنًا عن إحباطه وألمه وأنها مهما حاولت فلن تحظى بنفس مكانة أمه في قلبه، أخبرها أن تهتم بحسَّان المنطوي قليلًا وأنه أولى الناس بكل هذا الحنان الذي تغدقه عليه فقط، أخبرها أنه أدرك كم كان أنانيًّا وتسبب في ظلم حسَّان وكيف أنه لديه كل الحق في عدم

التحدث معه لشعوره بأنه يأخذ حقًّا ليس له، ثم قام بإنهاء المحادثة.

كان يعتبر نفسه محظوظًا لأنه الوحيد وسط زملائه من له والدتان، كان يحظى بدلال كثير منهما خاصةً من «آية»، مما كان يسبب الضيق لـ«محمود»، لذلك كرس جهده ولم يتخلَّ عن واجبه تجاهه من حيث تقويم وتوجيه سلوكه، منذ فترة طويلة يشعر أن «حسَّان» يغار منه لتعلقه بـ«ليان» واهتمام «چوري» به والذي ازداد عقب وفاة «آية»، يتذكر وقتها أنه مر بفترة اكتئاب شديد، لكن «چوري» لم تتركه ينغمس في تلك الحالة كثيرًا، وقفت بجانبه واهتمت به وبفضل مجهودها ورعاية محمود له تمكن من الخروج من هذه الحالة، لم ينسَ أمه لأنها شخص لا يُنسى، لكنه تقبل أنها في مكان أفضل وساعده في ذلك التفاف الجميع واهتمامهم به، كان في ذلك الوقت في الصف الرابع الابتدائي، لكنه لم يدرك أبعاد الأمور جيدًا على نفسية «حسَّان».

بينما حسَّان يفكر بعمق في كل ما حدث إذ فجأة يصطدم بشخص ليكتشف أنه اصطدم بنائل الذي كان الغضب واضحًا على ملامحه ليبادر بسؤاله:

- هل أنت بخير؟ تبدو شاحب الوجه!

أجفل نائل لسؤاله، ظل صامتًا يتأمله ثم قال:

- أنا بخير، شكرًا على سؤالك.

- حقًّا؟ ألا تريد الذهاب لطبيب يفحصك؟

نائل وهو يفرك جبينه من الألم:

- أشكرك على اهتمامك، لكن لا بأس، إنه مجرد إرهاق يصاحبه بعض الصداع، لا داعٍ للطبيب.

- حسنًا، بمناسبة سؤالك عن المدرسة منذ قليل، نعم، لقد قدمت الملف الخاص بي هناك وإذا كان الأمر يهمك حقًّا يمكنك القدوم معي في المرة القادمة وتصحبني في جولة هناك.

شعر نائل بالشفقة تجاهه لذا قال بأسف شديد:

- أنا آسف، أنا حقًّا آسف.

ذُهل حسَّان من أسف نائل:

- لا بأس، يمكنني الذهاب ......

قاطعه نائل عندما شعر أن حسَّان فهم أسفه بشكل خاطئ:

- لم أقصد ذهابي معك إلى المدرسة، بالطبع أي وقت تشاء الذهاب فيه أخبرني وسآتي معك بالتأكيد، لكن اعتذاري بشأن شيء آخر.

صمت لا يعرف ماذا يقول وفي المقابل حسَّان صامت يشعر بعدم فهم ليكمل نائل بحزن:

- آسف لما سببته لك من ألم بدون قصد لاهتمام أمي أقصد والدتك چوري بي، غرقت في أحزاني وسعدت بالاهتمام من الجميع ونسيت أن ذلك بالتأكيد قد أثر عليك.

حسَّان قرر إنهاء هذا الموضوع وتجاوزه، وقتها كان في الصف الأول الابتدائي وبسبب صغر سنه لم يدرك أبعاد الأمور بالرغم من اهتمام «حاتم» به، لكنه كان يريد أن تفعل «چوري» المثل معه:

- أنا أيضًا آسف لأني كنت أنانيًّا، تركتك بمفردك وابتعدت عنك، لكن اعذرني فقد كنت طفلًا صغيرًا لا يفقه شيئًا عما حدث، لكني الآن أدرك الأمور، هذا ليس خطأك من البداية ولذلك لا عليك، دعنا نتجاوز هذا الأمر ولا نتحدث فيه مرة أخرى.

نائل بسعادة لأن حسَّان سيتجاوز الخلاف بينهما:

- إذًا هل ستذهب معي إلى النادي لنلعب بالكرة سويًّا؟

- بالطبع، في أي وقت، والآن سأصعد إلى المنزل وأدعك تستريح، إلى اللقاء.

بعدها صعد إلى منزله ليفكر في الخطوة التالية.

بينما عند الجدة «أنيسة» كانت تهاتف «حاتم» لتخبره بنجاح مخططهم، في وقت سابق كان قد تحدث مع والدته بشأن «حسَّان» و«نائل» وحكى لها مشكلته وكيف وجهه لفهم بعض الحقائق التي غابت عنه وسألها إن كانت تستطيع تقديم المساعدة له لتقرر الجدة بالفعل مساعدة حفيدها وإخباره بما غفل عنه والده.

مر الأسبوع وأتى يوم الحفلة، على الرغم من القلق الذي يعتري «ليان» و«آلاء» إلا أنهما كانتا متحمستين كثيرًا لها، أتت العائلة لتشجيعهما مما رفع ثقتهما بنفسهما وساعد ذلك في إبراز وتعزيز ثقتهما بأدائهما، على الرغم من أن «آلاء» فوتت عليها بعض التدريبات الأخيرة المهمة إلا أن أداءها كان في غاية الروعة والقوة، أما «ليان» فكان عزف البيانو المنفرد في قمة الرقة والهدوء، صفق الجميع على الأداء الرائع والجهد المبذول لتكون الحفلة بهذا المستوى، وتم تكريم كل المشاركين فيها.

كان «محمود» قد قرر مع إخوته إقامة حفل شواء في اليوم التالي في حديقة بيتهم لعدة أسباب، تقديرًا لجهود الأولاد وتحقيقهم لنتائج مرتفعة في الثانوية العامة، سلامة «ولاء» وخروجها من المستشفى، ونجاح حفلة

الموسيقى التي بذلت الفتاتان جهدًا كبيرًا في التدريب عليها طوال العطلة الصيفية.

كانت حفلة الشواء ممتعة وساعد في ذلك صفاء الجو، الجميع اشترك في المساعدة في إعداد هذا الحفل، حيث قامت «چوري» و«لمار» بمساعدة وإشراف الجدة «أنيسة» بعملية تجهيز تتبيلات الدجاج والكفتة ثم وضعها في أسياخ، أما «حاتم» و«محمود» و«أكرم» قاموا بالتناوب على عملية الشواء وتجهيز الأطباق، والأولاد قاموا بتجهيز الجلسة ورص المقاعد والفتيات قمن بإعداد السلطات، هذا التعاون الذي أظهره أفراد العائلة في أجواء من المرح والضحك ساعد في تبديد بعض الشحنات السلبية المسيطرة على البعض.

لاحظ الجميع تغير «أكرم» الملحوظ في تعامله مع الفتاتين حيث إنه قام بتجهيز طبق مخصوص ل«ولاء» و«آلاء» بعد أن سأل «لمار» عما تفضلانه في المشويات ثم طبق خاص لزوجته يحتوي على صدور الدجاج التي تُفضلها بعد أن سأل «ولاء» على ما تفضله «لمار»، أما «چوري» فجهزت ما يفضله «حسَّان» ولم تهتم بسواه بعد ما قاله نائل بشأنه، أما «حاتم» فقد جهز باقي الأطباق بينما يقوم «محمود» بإغلاق عدة الشواء، ثم بدأوا تناول الطعام.

الخاتمـــة

بعد مرور أربعة أعوام، اجتمعت العائلة كلها في بيت الجدة «أنيسة» -رحمها الله- ليفطروا معًا أول أيام شهر رمضان المبارك كما اعتادوا حتى بعد وفاتها، بمجرد أن أُعلن آذان المغرب تناقلوا فيما بينهم حبات التمر ليكون أول شيء يدخل جوفهم بعد صيام دام لساعات طويلة ليقول حاتم بصوت مرتفع:

- صومًا مقبولًا وإفطارًا شهيًّا.

ليرد عليه أكرم بابتسامة:

- تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

ليردد الجميع بعده:

- «اللّٰهم آمين».

ثم قاموا لتأدية فريضة المغرب جماعة وكان إمامهم «محمود».

تناولوا الإفطار الذي تشاركت في إعداده «لمار» و«چوري»، الألفة

والمودة كانت واضحة بين «أكرم» و«لمار» حيث أنه لم يخلف وعده معها وبذل قصارى جهده ليعوضها عما فات، وعندما أدركت مدى جديته في تصحيح خطأه معها ومع البنتين عاونته وأصبح اهتمامهما ببعض متبادلًا، إذا مرض أحدهم يقوم الآخر على راحته والعكس صحيح، كما تقاسما الاهتمام والعناية بالبنتين، الذي عاد عليهما بالإشراق والبهجة الشيء الذي جعل «ولاء» تسجد شكرًا لله لأنه استجاب دعاءها بصلاح حال عائلتها، أما عن «حسَّان» فأصبح شخصًا اجتماعيًّا ودودًا لم يعد منغلقًا على نفسه، وساعد في تغيره دخوله المرحلة الثانوية وانسجامه مع الأصدقاء وأيضًا بعد أن قضى عامًا في الحرم الجامعي، كل ذلك ساعده ليتغير للأفضل ولم ينس أبدًا أن ذلك حدث بفضل أبيه وجدته لأنهما كانا سببًا رئيسيًّا في مساعدته على اجتياز مشكلته مع «نائل»، ليصبحان الآن إخوة.

كل تغير حدث لأي فرد من العائلة كان بسبب إدراكهم أنهم بحاجة إليه لأن «الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

بعد الفطور صعد الأحفاد إلى السطح وجلسوا في مكانهم المفضل الذي حرصوا على عنايته طوال الأعوام الماضية للاستمتاع بالهواء المنعش وترقب وجود الهلال في السماء، «ليان» و«نائل» في آخر عام لهما

في الجامعة، «ليان» تدرس في معهد الموسيقى و«نائل» في كلية الألسن، أما عن «حسَّان» فهو في الفرقة الأولى من كلية علوم الحاسب، والتوأم ما زالوا في بداية مرحلة الثانوية حيث أنهوا امتحانات الصف الأول.

ليان بسعادة لاجتماعهم:

- أنا سعيدة للغاية لأننا اجتمعنا مرة أخرى، بسبب الامتحانات واقتراب تخرجنا انشغلنا ولم نستطع فعلها منذ مدة طويلة.

حسَّان بهدوء:

– معكِ حق، لا يوجد أحلى من بدء الشهر الكريم لنعيد اجتماعنا، لا ينقصنا سوى جدتي.

نائل بتأثر وهو يحتضن كتف حسَّان:

– أصبت يا صديقي، الله يرحمها، أفتقدها جدًّا، كانت تحب هذا الشهر الكريم وتصر على تجمعنا فيه أغلب الأوقات وتقول لي: «هذا الشهر المبارك يأتي محملًا بنفحات مباركة، اغتنمها».

ولاء بعد أن صعدت بطبق الحلويات:

– فيم تحدثتم وأنا غير موجودة، ألم نتفق على انتظاري ريثما أحضر الحلويات لنا جميعًا؟!

كادت أن تجيبها ليان فقاطعها نائل بقوله:

- كنا نتحدث عن مدى بخلك علينا لرفضك الغناء بصوتك الجميل.

قرر تغيير موضوع حديثهم حتى لا تبكي «ولاء» كما حدث منذ عامين عندما وافت جدتها المنية.

احمر وجه ولاء خجلًا مما قاله نائل، فنظرت بعتاب لأختها «آلاء» لأنها قالت لهم أنه يمكنها الغناء.

بينما «ليان» توبخ «نائل» على فعلته قالت «آلاء» أنها ذاهبة لتحضر القيثارة لأنها نسيتها في غرفتها حتى تتمكن «ولاء» من الغناء مما زادها خجلًا وتوترت لأنها لم تغنِّ أمام أحد من قبل، حتى أختها اكتشفت الأمر بالمصادفة.

عندما صعدت آلاء كانت تمالكت نفسها وأخفت دموع تأثرها ثم قالت لولاء:

- بما أننا في شهر رمضان، سوف أعزف أغنيتكِ المفضلة.

صفق لها الجميع كي تتشجع لتبدأ الغناء.

بدأ اللحن ينساب بنعومة في أذنيها لتقول بابتسامة:

مرحب مرحب يا هلال

أهلًا أهلًا.. كيف الحال

قد غبتَ وإليك اشتقنا

وانتهى بُعدك.. صار وصال

نعطي صبرًا.. نأخذُ أجرًا

والله يرانا ويسمعنا

نغفر زلًّا.. نوصل أهلًا

لأن رمضان يجمعنا

لأن رمضان يجمعنا

صفق لها الجميع واتضح ل«ولاء» أن «آلاء» عندما هبطت لإحضار القيثارة أخبرت الجميع حتى يصعدوا لسماع صوتها وأثنوا عليها كثيرًا، شعرت بسعادة كبيرة رغم خجلها لسماعهم غنائها، سألها «أكرم» أن تغني أغنية أخرى والتي قررت «ليان» المشاركة في عزفها عندما عرفت اسم الأغنية لأنها تحبها، بدأت «ليان» بالعزف ثم لحقت بها «آلاء» في تناغم لتبدأ «ولاء» بالغناء:

رمضان جنَّة.. تِجمع بينا

طعم اللمة.. يحلي الأيام

وفطار وسحور

دايمًا على طول

والكل سعيد.. الكل سعيد

رمضان جنَّة

رمضان فرصة.. تصفى وتنسى

وفطار وسحور.. في بركة ونور

والكل سعيد.. الكل سعيد

رمضان جانا

أهلًا رمضان.. قولوا معانا

أهلًا رمضــان جانا

تمت

■■■

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339